الجمعيات ودورها السياسي
قبل تأسيس الدولة العراقية

م. م. سريد فهمي يعقوب
Asst. Lect. Soreid Fahmi Yaqoob
soreid.f.yaqoob@aliraqia.edu.iq

مقالة بعنوان:

بدأ عمل الجمعيات ودورها السياسي بعد الانقلاب العسكري الذي قادته مجموعة من الضباط العثمانيين عام ١٩٠٨ ضد السلطان العثماني حيث قاد هذا الانقلاب (جمعية الاتحاد والترقي) العثمانية والذي كانت تؤمن بالتوجه العنصري. وكان العراق والدول العربية تحت سطوة الدولة العثمانية ، مما جعل مجموعة من مثقفي وضباط عراقيين بتأسيس جمعيات سرية وعلنية للاستقلال عن الدولة العثمانية واستمرت هذه الجمعيات بعد قيام الحرب العالمية الاولى علم ١٩١٤ وخسارة الدولة العثمانية في الحرب. فتطورت هذه الجمعيات السرية والعلنية في بغداد ودمشق ، وكان يقود هذه الجمعيات الضباط العراقيين بعد تركهم لوظائفهم في الجيش العثماني وتفعيل دورهم الوطني في مجابهة الاحتلال البريطاني الذي كان هدفهم هو استقلال العراق من السيطرة الاجنبة.

Article titled:

The work of the associations and their political role began after the military coup that led by a group of Ottoman officers in ١٩٠٨ against the Ottoman Sultan. This coup was led by the Ottoman Association (AL Ittihad wa AL Tarqi), which believed in a racist orientation. Iraq and the Arab countries were under the influence of the Ottoman Empire, which led a group of intellectuals and observer officers to establish secret and public associations for independence from the Ottoman Empire. These associations continued after the outbreak of World War I in ١٩١٤ and the loss of the Ottoman Empire in the war. These secret and public associations developed in Baghdad and Damascus, as they were led by Iraqi officers after they left their jobs in the Ottoman army and activated their national role in confronting the British occupation, whose goal was the independence of Iraq from foreign domination.

مقال بعنوان: (الجمعيات ودورها السياسي قبل تأسيس الدولة العراقية)

نبدأ بسلسلة الجمعيات ودورها السياسي قبل تأسيس الدولة العراقية . كان العراق جزءا من الدولة العثمانية وبعد محاولتها في أواخر عهدها وإصلاح أوضاعها المتدهورة بتبنيها النظام الغربي البرلماني ومنها أعلنت الدستور العثماني في ٣ كانون الاول سنة ١٨٧٦ والذي اعتبر في هذه المرحلة تتويج حركة الاصلاح العثماني، وسمي بالعهد الدستوري الأول وفي التركِية يسمى (عهد المشروطية الأول) لكن العمل بالدستور توقف بعد فترة قصيرة لمدة ٣٠ سنة إلى أنَّ أعيد العمل به مرة ثانية بعد الانقلاب العسكري الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ والذي سمي بالعهد الدستوري الثاني (عهد المشروطية الثانية).

استمر العمل به الى سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨. كان العراق جزءا من هذه الدولة حتى سقوطها واحتلالها من قبل البريطانيين للعراق ، وفي العهد الدستوري الاول لم تظهر أحزاب إلا أنَّ ايقاف العمل بالدستور وفرض الحكم المطلق في الدولة العثمانية قد دفع الى تشكيل جمعيات سرية بهدف قلب نظام حكم السلطة ومن بين هذه التشكيلات كانت جمعية الاتحاد والترقي التي أسستها مجموعة من الضباط الاتراك وقد تمكنت الجمعية من القيام بانقلاب عسكري اجبر بها السلطان العثماني عبد الحميد على إعادة العمل بالدستور في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨.

الا ان هذه الجمعية كانت ذات توجه عنصري يؤمن بتفوق العنصر التركي، في حين أنَّ العرب كانوا يشكلون في هذه المرحلة أكثرية سكان الدولة العثمانية لكون حدود الدولة العثمانية قد تقلصت واصبحت مقتصرة على تركيا والعراق والحجاز وبلاد الشام.

ولذلك تشكلت جمعية سرية عربية رافضة لسياسة التتريك ومن هذه الجمعيات كانت عربية ومن ثم تحولت إلى عراقية وهي جمعية الناطقين (بالضاد) في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٠٩قبل انْ يغيروا اسمها إلى الجمعية العربية الفتاة عام ١٩١١ والجمعية القحطانية، والجمعية اللامركزية الادارية العثمانية، جمعية العهد، وجمعية العهد والتي اقصرت على العسكريين فقط ، كل هذه الجمعيات تشكلت في البداية في اسطنبول وقد شكل هذه الجمعيات سياسيون وأعضاء في البرلمان العثماني وضباط من العرب بما فيهم عراقيون مطالبون بحقوق العرب القومية في إطار الدولة العثمانية وهم يطالبون بالانفصال وبعد ذلك تطور الامر بالمطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية.

خصوصا الجمعية العربية الفتاة التي عقدت مؤتمر في باريس عام ١٩١٣ اي قبل الحرب العالمية الاولى شارك فيها اثنان من العراقيين هما توفيق السويدي وسليمان عنبر. إنَّ العراقيين

شكلوا ثقلا في هذه الجمعيات وبالذات في العربية الفتاة واللامركزية والعهد وفي العهد الذي أسسها عزيز المصري شارك فيها الضباط العراقيون الموجودون في الجيش العثماني كل من:

١- نوري السعيد الذي يُعدُّ من المؤسسين.
٢- جعفر العسكري.
٣- جميل المدفعي.
٤- علي جودت الايوبي.
٥- ياسين الهاشمي.
٦- طه الهاشمي.
٧- مولود مخلص.
٨- حمدي الباجة جي.
٩- عبدالله الدملوجي.
١٠- محسن العسكري.
١١- رشيد الخوجة.
١٢- واسماعيل الصفار.

هنا بَدأ الدور العراقي بعد انقسام جمعية العهد السرية الى قسمين منها (العهد السوري والعهد العراقي). وجمعية العهد العراقي تشكلت لها فروع في ولاية بغداد، والبصرة، والموصل. اضافة الى فرعين في حلب، والشام وذلك نتيجة تنقلات الضباط في الجيش العثماني وفي فرع بغداد تراسه حمدي الباجة جي وفرع البصرة طالب النقيب.

اما في الموصل كانت عمادة جمعية العهد تتنقل بين مولود مخلص وعلي جودت الايوبي وشريف الفاروقي. والى جانب هذه المنظمات السرية كانت هناك جمعيات علنية مثل الجمعية الاصلاحية في البصرة كان يترأسها طالب النقيب ومعه المعتمد سليمان فيضي وقد اصدرت الجمعية جريدة الدستور فلما عطلتها السلطة العثمانية تحداهم طالب النقيب واصدر بدون موافقة رسمية جريدة صدى الدستور ان الجمعية الاصلاحية التي كان يترأسها طالب النقيب كانت توزع منشوراتها وتتخابر مع احرار العراق في معظم مناطقهم وكان مؤيدوها يرسلون البرقيات الى اسطنبول. يطالبون بالحكم الذاتي للعرب من اطار الدولة العثمانية كما كان طالب النقيب وهو احد الضباط المتنفذين في البصرة يمد مزاحم الباجه جي بالمال في بغداد لتأسيس النادي الوطني العلمي.

الذي بدأت تعقد فيه الاجتماعات السرية للوطنيين واصدر النادي جريدة النهضة مما جعل السلطات العثمانية بإيقافها بعد صدورها بمدة وجيزة وطاردت ممولها مزاحم الباجة جي الذي التجئ بدوره الى طالب النقيب في البصرة ان هذا النادي نظم ايضا شخصيات وطنية مهمة مثل.

١- محمد رضا الشبيبي.
٢- محمد باقر الشبيبي.
٣- تحسين العسكري.
٤- يوسف عز الدين.
٥- بهجت زينل.
٦- ابراهيم حلمي العمر.
٧- عبد المجيد كنه.

وهي شخصيات معروفة في بغداد وكان هذا النادي الوطني العلمي له اتصالات وتنسيق مع الجمعيات العربية السرية في تركيا، والشام، والحجاز، ومصر. ان الجمعيات السياسية في العراق في زمن الدولة العثمانية هي بالحقيقة احزابٌ وعلى نوعين (سري، وعلني) وهذا العلني الاخير لعب دورا مهما في الانتخابات النيابية وفق الدستور العثماني وبَدَأ انتخابات تجري وفق قانون انتخابات عثماني في عهد المشروطية الثانية سنة ١٩٠٨.

التي استمرت هذه الانتخابات الى قيام الحرب بعد اعادة العمل بالدستور، وشاركت الولايات الثلاث بغداد، والموصل، والبصرة. بهذه الانتخابات أجريت الانتخابات النيابية واجتمع مجلس المبعوثين وكان مركزها في اسطنبول واول اجتماع حدث في ١٧ كانون الاول عام ١٩٠٨ لجمعية الاتحاد والترقي التي استلمت السلطة وخلعت السلطان،

وهو الحزب الوحيد الذي شارك في الانتخابات وبذلك قد ضمنوا انتخاب مرشحيهم في العراق وبقية انحاء الدولة العثمانية. ولكن هذا التأييد المطلق للاتحادين بدأ يتلاشى في ولايات بغداد والموصل والبصرة بعد ان تبعت جمعية الاتحاد والترقي سياسة التتريك العنصري والتي تهدف الى اجبار غير الاتراك من العثمانيين عن التخلي عن هويتهم القومية واجبارهم على ترك لغتهم واستخدام اللغة التركية في الادارة والتعليم.

وهذا ما دفع النواب العرب في مجلس المبعوثين الى ترك الاتحادين والانضمام الى حزب ومعارضة جديدة تشكل في مجلس النواب في اسطنبول هو الحزب الحر المعتدل الذي تبني سياسة اللامركزية وتعارض سياسة التتريك العنصري.

وفي ١٦ نيسان ١٩١٨ وفي هذه الفترة كانت العديد من الصحف والمجلات في العراق وفي بغداد ومنها صحيفة صدى بابل البغدادية ، نشرت خبر تشكيل حزب معارض واعلنت الصحف العراقية عن تأسيس حزب ثالث وهو الحزب العربي اسسه النواب العرب واضافة الجريدة ان فروعا في هذا الحزب ستفتح في الولايات العربية وان هدفه ان يكون الشعب العربي متساويا مع الاخرين داخل الدولة العثمانية وان يصبح التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية في المناطق العربية باللغة العربية واكدت الصحف البغدادية ان ثلاثةً من النواب العراقيين قد انضموا الى هذا الحزب وهم. ١- محمدعلي فاضل ٢- وعبد المدي قاسم ٣- وداود يوسفاني.

تنامت المعارضة ضد جمعية الاتحاد والترقي في العديد من المناطق وانشق عنهم الكثيرون وانتقال العديد من النواب من هذه الجمعية. وقام المنشقون بالاتصال بنواب الحزب الحر المعتدل وشكلوا معهم ومع النواب العرب حزبا معارضا جديدا اطلقوا عليه اسم حزب الحرية والائتلاف وأعلنت الصحف في بغداد خبراً بتشكيل هذا الحزب الجديد المعارض في مجلس النواب في اسطنبول وذكرت ان نائب الموصل داود يوسفاني عضوا الحزب العربي قد اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية لحزب الحرية والائتلاف كما استقبلت بغداد بفرح اخبار صدور الموافقة الرسمية بالسماح لحزب المعارضة الجديد هذا بفتح فروع له في انحاء الدولة العثمانية واعلنت صحيفة صدى بابل تحت عنوان انحطاط الاتحادين في بغداد وان معظم الناس قد تركوا جمعية الاتحاد والترقي وتوقعت ان يحل حزب الحرية والائتلاف محل الاتحادين.

اما في البصرة فقد استجاب مئة شخصية لنداء نائبهم طالب النقيب واستقالوا من عضوية جمعية الاتحادين واقاموا فرعا في البصرة لحزب الحرية والائتلاف وحضر حفل الافتتاح حشدً كبير من الناس وكان ناجحا جدا. وهذه المتغيرات قد اظهرت في أواخر عام ١٩١١ ومن مطلع عام ١٩١٢ كانت تشهد أجزاءٌ من العراق نشاطا للحركة العربية السياسية المعارضة لسياسة جمعية الاتحاد والترقي قد لعبت هذه الحركة دورا مهما في الانتخابات التي اعقبت حل البرلمان من قبل الاتحاديين في ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٢ والذي كان هدفهم الاساس هو القضاء وسحق المعارضين لهم والسيطرة على مجلس النواب.

الانتخابات الجديدة بدأت في اواخر كانون الثاني ١٩١٢ وهي اول انتخابات في الدولة العثمانية تشهد تنافس حزبين الاتحادين وحزب الحرية والائتلاف ولكنَّ الاتحادين استغلوا سلطتهم فأصدروا تعليمات سرية الى سلطات الولايات بما فيها العراق لتدخلهم في الانتخابات لصالح مرشحيهم وفي مقابل هذا الشيء الصحف العراقية قادة حملة دعت فيها لانتخاب المرشحين العرب فقط

وصحيفة بابل شددت على ان يكون المرشحون عن المناطق العربية من الذين يتكلمون العربية وليس التركية فقط وكان هذا يعني ان مرشحي المناطق العربية بمجلس النواب يجب ان يكونوا من العرب وجريدة الرياض ايضا واحدة من الصحف الموجودة في بغداد قد امتلكت صفحاتها شعارات تدعو الى انتخاب المرشحين العرب.

الاتحاديونَ قرروا ان تأتي الانتخابات لصالحهم ولذلك تدخلوا فيها بشتى الطرق بل انهم عاقبوا المسؤولين الذين اخفقوا او فشلو في ضمان فوز مرشحيهم وان متصرف لواء العمارة عزل من منصبه لأنه رفض ضمان فوز الاتحاديين في اللواء اما في قضاء القرنة فقد تم القاء القبض على ممثلي الحرية والائتلاف الذين وصلوا الى البصرة لمساندة مرشحيهم والقي القبض على محلات مختاري بغداد بناء على اوامر من والي بغداد جمال باشا لفشلهم بضمان فوز مرشحيهم ولهذا كانت نتيجة الانتخابات ضمان فوز مرشحي الاتحادين في العراق وبقية انحاء الدولة العثمانية بسبب التدخل في الانتخابات، ولم يفز من غير الاتحادين في عضوية مجلس النواب سوى بضع من النواب المستقلين ومع ذلك قد تم انتخاب طالب النقيب وعبدالله الزهير في البصرة وهم ضد الاتراك وفاز ابن نقيب بغداد في بغداد وكان معروفا بمشاعره ضد الاتراك كما فاز فؤاد افندي وهو احد المحامين المعروفين في بغداد بمعارضته للاتحادين وهذه كانت اخر انتخابات ومن بعدها جرت انتخابات ولكن تعثرت بسبب اندلا ع حرب البلقان وانتهت الدولة العثمانية فيها.

وبعد ذلك قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ والتي خسرت فيها الدولة العثمانية الحرب وانهارت واختفت معها الاحزاب البرلمانية مثل حزب الحرية والاتلاف والاتحاد والترقي وبقية الجمعيات العربية السرية. وخلال الحرب قامت الثورة العربية عام ١٩١٦ ضد الاتراك العثمانيين بالتحالف مع اعدائهم البريطانيين فالضباط العراقيون من جمعية العهد انظموا الى الجيش العربي الذي كان يقاتل الاتراك باتجاه دمشق لتحريرها فشكلوا العمود الفقري لهذا الجيش الذي كان يقوده الامير فيصل ابن الحسين وعندما تمكن الجيش العربي من هزيمة الاتراك و دخول دمشق تشكلت الحكومة العربية فيها واصبح الامير فيصل ملكا عليها وتسنم الضباط العراقيون قادةً وإداريين فيها.

أما في داخل العراق فإنَّ الضباط العراقيين من اعضاء جمعية العهد السرية تركوا الخدمة في الجيش العثماني وتوجهوا الى البصرة التي كان البريطانيون قد سيطروا عليها واراد البريطانيون التأثير على الضباط واستغلالهم الا ان كان الرفض القاطع مما جعلهم يلتحقون بالثورة العربية في الحجاز ومن هؤلاء الضباط مولود مخلص، وعلي جودت الايوبي، وعبد الله الدليمي. مما أصبح العراق

تحت الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى وبقت الجمعيات السرية العربية وفروعها في العراق وتم تنشيط اعمالها مجددا من قبل الضباط المنتمين لها سياسيا وبعد فرض الانتداب البريطاني على العراق والتي قادتها عمليا جمعية جديدة وهي جمعية حرس الاستقلال السري والتي تأسست في بغداد من نهاية شباط عام ١٩١٩.ولقد انتمت لها شخصيات بارزه مثل:

١- محمد الصدر ٢- جعفر ابو التمن ٣- علي البازركان ٤- جلال بابان ٥- محي الدين السهروردي ٦- حمد مهدي البصير ٧- محمد باقر الشبيبي ٧- عبد الغفور البدري ٨- يوسف السويدي وغيرهم واجتماعات الجمعية السرية كانت تعقد برئاسة محمد الصدر في الكاظمية وفي بغداد كانت تعقد برئاسة جعفر ابو التمن وتأسست فروع للجمعية في النجف والحلة والشامية ونشاطها الحقيقي تركز في بغداد والفرات الاوسط وقد اصدرت جمعية حرس الاستقلال بيان الى الشعب العراقي دعت فيه الى تشكيل وفود من كل انحاء العراق للذهاب الى العاصمة بغداد للمطالبة باستقلال العراق بحكم دستوري يقرره العراقيون وليس البريطانيون الذين يحكمون وبعد اجراءات المؤتمر العام دعما وتأييدا لمطالب بغداد والكاظمية ان جمعية العهد وجمعية الاستقلال السري قد دعت الى تظاهرات واحتجاج في بغداد لرفض الدستور الذي وضعته لجنة بريطانية بالرفض المطلق لكونه يتقاطع مع طموح العراقيين بتشكيل حكومة وطنية مستقلة وقد جوبهت التظاهرات بالأحكام العرفية العسكرية وهاجمت بيوتات الحركة فاعتقلتهم وابعدت منهم خارج البلاد ومنهم من تمكن بالالتحاق بالثورة المسلحة التي اندلعت في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ وكانت هذه الاعتقالات والمطاردات نهاية الجمعية لحرس الاستقلال السرية في بغداد.

وهكذا انتهت مرحلة الاحزاب والجمعيات السرية والعلنية التي ظهرت في أواخر سنين الدولة العثمانية وخلال فترة الاحتلال والانتداب البريطاني حتى قيام ثورة العشرين لتبدأ مرحلة جديدة وهي المرحلة الثانية بتأسيس الدولة العراقية الحديثة حيث بَدَأت معها الحياة الحزبية في العراق في عهد الملك فيصل الاول وحتى قيام الحرب العالمية الثانية والتي سوف نتناولها في م قالاتنا المقبلة.

ومن الله التوفيق ..